

فسان سلامة*: مخاطرات زوال الفكرة العربية

عندما قامت بريطانيا سنة ١٩٤١ بضرب حركة الكيلاني في العراق، كان مفتي فلسطين الى جانب الحكومة العراقية في بغداد. واليوم، في كلام القيادة العراقية ومن خلال صواريخها، وفي موقف منظمة التحرير، وقبل كل شيء، في موقف اسرائيل من تطور القدرات العراقية، ناهيك بتزامن استشهاده قياديين فلسطينيين مع عشية انتهاء الإنذار الدولي: كل شيء يشير، في السابق والراهن، الى وجود رابط عميق بين

ازمة الكويت (وبالتالي بين حرب العراق) ومأساة فلسطين.

الرابط موجود، لكن مغزاه غامض. فاسرائيل تريد ان يكون لها دور في تحديد الاهداف العراقية الواجب ضربها، وأن تحظى بالثمن الغالي لقاء عدم تدخلها المباشر في الحرب. أما من الجانب العربي، فالأخطاء عديدة في عملية إدارة الربط منذ اليوم الأول للأزمة، ومنها طبعاً عدم التنبه لخطورة ضم بلد مجاور، ولضرورة اختيار الزمن الملائم لتجيش القدرات العربية البعيدة عن ساح القتال، ولأهمية التصريح بما هو أقل من الفعل، بدلا من عادة البوح والتهديد بما يتجاوز القدرات الحقيقية. والمنظمة، في مجال الدفاع عن ذاتها سياسيا في العالم، لم تجد إجمالا الحجج الملائمة، ولا حتى المفردات الملائمة.

لكن هذا قد أصبح كله من الماضي، وقد يكون المستقبل اشد إيلاما. واني ارى الخطر الأكبر في نزوع البعض الى فصل منطقة الجزيرة العربية الثرية بنفطها عن باقي الجسم العربي. ويلقى هذا التوجه قبولا لدى بعض النخب الخليجية، ويصادف طبعا هوى قديما عند الأميركيين. هذا هو الانعكاس الأسوأ. وأملّي بأن تتصافر الجهود كلها لإبقاء أهل الجزيرة العربية داخل هموم العرب جميعا، فلا ينزلون عنا، ولا نقدم من جانبنا على ما قد يضيف الى هذا الانعزال.

أما الانعكاس الآخر، وأثاره أكثر التباسا، فيتعلق بالوجود الأميركي العسكري الطويل الأمد في المنطقة. فإن ظل محصورا بمنطقة الخليج، فالنزاعات الأخرى ستبقى وفق وتيرتها، مع تساؤل في القدرات العربية. وإن تجاوز ذلك الوجود الخليج، فقد يصيب من غلواء اسرائيل، ويقضي بالتالي على مقولة ان اسرائيل هي ممثلة أميركا في المنطقة، علما بأن الأصل كان أكثر رافة بنا من وكلائه الاقليميين. ولا ريب ان بعضا من حرية اسرائيل في الحركة قد تم تقييده خلال هذه الأزمة من جانب التحالف الغربي (حتى الساعة)، وهذا فعلا بصيص ضوء خافت جدا للمستقبل وإنما موجود.

تبقى مسألة القدرة العراقية، ونحن لا نعلم حتى الساعة ما دُمر منها وما نجا. لكن دمارها يصيب من العرب مقتلا. فعلى الرغم من الخلافات العربية المستمرة، فإن إزالة القدرات التكنولوجية والعسكرية العراقية تجعل اي عربي، أيا يكن موقفه الراهن، يشعر بقدر أكبر من الخوف والضعف والهزال.

لكن، قد يكون هناك انعكاس آخر أخطر، وهو تساؤل او زوال الفكرة العربية من أساسها، إن من خلال عزلة مفروضة على مناطق النفط او من خلال إدخال اسرائيل وإيران وتركيا في صلب اللعبة الاقليمية. ويقيني ان إضعاف الفكرة العربية تحت اي ستار كان، محلي، او ديني، او إقليمي، عنصر سلبي للغاية في فلسطين ولبنان وغيرهما من بلاد العرب.